الأعمـــى

للكاتب الالماني فردريك ويتسل

وصفت لى امى مرة منظر الشمس وهى تتعالى فوق الجبال ، فسرنى ذلك الوصف كثيراً فسألتها (ما الشمس يا أماه ؟) فقالت بصوت متأثر وهى تمسح بيدها على شعرى (اواه يا ولدى ! مهما وصفت لك الشمس فانك لن تعرفها كما هى ، دون أن تراها .)

(. . رباه لماذا حرمتنى نعمة الرؤيا ؟ لماذا ولدت أعمى ، ؟ انى أريد رؤية الشمس التى أحس بحرارتها وهى تلفح وجهى ، افتح أجفانى — ولو مرة واحدة — لأرى الشمس ولأرى وجه امى ، ثم اغلقهما بعد ذلك ثانية !) ضاعت صرختى فى ادراج الرياح ، فبقيت فى عالمى المظلم الموحش ، أشعر بنعومة الزهور ، واشم عبير الورد ، ولكننى لا أعرف كيف اتخيل صورة الزهرة . فهى — كما يقولون لى — أحلى من عبيرها ، وافتن من نعومها .

حلمت ذات ليلة ان عيونى تفتحت . وانى صرت أرى نور الشمس ، وأرى صورة الشمس ، وشكل الزهور ووجه امى . فلما استيقظت وجدتنى لا أزال فى ظلام . ! وحدث بعد ذلك ان اتخذت امى كاربية ، اسمها (ميرى) ، وجدت بقربها بعض العزاء . فكثيراً ما أشجتنى بأغانيها وألحانها ، وكثيراً ما أبعدت عن نفسى الهموم ، بأحاديثها فكانها . حتى كاد شوقى — إلى الشمس ، وإلى الزهور وإلى وجه امى — يزول ويتلاشى . . !

سمعت أهلى يتحدثون عن طبيب للعيون ، ذاع اسمه واشتهر أمره ، فى وقت قصير ، وقد علمت انهم سيأخذوننى إليه ، لعله يفتح اجفانى ، وينير عينى ، فتنازعنى آنذاك شعور ان حبى لميرى وحبى للشمس ولوجه أمى وللزهور ، فوجدتهما متعادلين متكافئين وحين أخذونى إلى ذلك الطبيب ، وبدأ يفحصنى ارتفع صدرى ، وازداد ارتباكى . فقد شعرت كأننى على أبواب حياة جديدة ، وانى اولد من جديد ، فى عالم لم أره وإن كنت قد عشت فيه وسمعت عنه . . ! وبينما أنا فى أفكارى اتيه ، شعرت بألم قوى فى فصرخت مرتين . . مرة من الألم ، ومرة من الخوف . فقد عاودنى حلمى القديم ، فقد لاح لى كأننى رأيت النور . ! لكننى سرعان ما عدت إلى عالمى الأول ، فقد عصب الطبيب عينى ، فلم أعرف أكان حلماً ما رأيت أم حقيقة . فبقيت بعد ذلك أحيا حياة غريبة فيها أمل وفيها يأس ، وهى مع ذلك ملؤها التهيب والخوف !

حتى جاءنى الطبيب ذات ليلة ، وطفق يعالج عصابة عينى . . فاذا أنا أرى نجوماً تتلألأ عند الأفق . فاذا بى فى عالم جديد ، لم أحلم به ، فاجدنى مذهولاً ، أحول عينى يمنة ويسرى فأرى كل فذ عجيب . . ثمة خرائب أراها أمامى . فاسأل عنها فاذا هى جبال بعيدة ، تتعالى إلى السماء فى قلب الليل ، كالعمالقة التى وصفتها لى أمى . . وعلى مسافة خطوتين لمحت شيئاً كالشبح المقعم . . فسجدت ، مبتهلا إلى الله ، وفجأة تغير المنظر ، فرأيت فوق الجبال أشباحا تصعد إلى الأعلى ، وفى وسط السماء نجوماً ترتجف خوفاً من الأشباح . . ولمحت خلفى مرآة مصقولة ، تنبعث منها أنوار ساطعة ، جعلتنى أحس كأن الله قادم إلى . . ! فارتجفت وارتعدت ..

رأيت ثمة ضباب يتكاثف أمامى بلا أن الأشباح مازالت كما هى ؛ تصعد إلى عنان السماء . لكن الانجم سرعان ما انطفأ بريقها ، وخبأ ضؤوها . . فاتخذت لها شكل الزهور ! وبغتة اندلعت اضواء من لهيب . . تجوب أطراف السماء . . فاذا فوق الغابة ألمح الشمس التى حلمت بها ... حمراء ملتهبة . . ! فوضعت يدى على عينى ، وسقطت على الأرض ! ... ولما أفقت كان النور يملأ الفضاء فرأيت — لأول مرة — العالم الذى عشقتا فيه . . فالنجوم هبطت زهوراً على الأرض . جمال أحلى من عبيرها . والنور يتفجر على الدنيا من كل جهة وكل صوب ! وفى الشجر ثمار حلوة ؛ وحول التلال عبير الزهور البرية ... وفى الكرم تتدلى العناقيد كاللآلىء . وفى الجو تتطاير فراشات ، وتتطاير جلور ، وعصافير .. ومن آلاف الأفواه يتعالى غناء شجى ، يبتهل بأسمى المعانى إلى الله !

وفجأة سمعت من خلفى صوتاً كنت أعرفه ، فالتفت ، وإذا أنا أرى — لأول مرة أيضاً — وجه أمى ، ووجه ميرى رفيقتى فاذا فى عينيهما دموع تجول .

ايها الظلام . أرجع ثانية ، وخذنى بين احضانك مرة أخرى فانى لم أعد احتمل هذا النور . . وهذه المواطف ، وهذا الجمال .

المترجم

فريد جورج